
بحث محكم

اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم
حكم وأحكام

إعداد

د نورة بنت عبد الله الحساوي

عضو هيئة التدريس بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن للبنات بالرياض

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى من اقتدى به، واتبع هداه، إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الاعتكاف سنة مؤكدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثبت عنه أنه كان محافظاً عليها حتى توفاه الله عز وجل. وهو عبادة تقوم في جوهرها على الإقبال على الله عز وجل، والتفرغ من جميع المشاغل إلا عبادة الله ومناجاته وذكره، وقد لمست حاجة الناس اليوم لهذه العبادة، بعد أن توسعوا في المباحات وانشغلوا بها، فأحببت أن أذكر نفسي وإياهم بهذه العبادة العظيمة، والسنة الكريمة.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى: مدخل، وثلاثة مباحث.

• منهج البحث:

- ١ - عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.
 - ٢ - تخريج الأحاديث النبوية، وبيان درجتها إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، وقد جعلت التخريج مختصراً، فاكتفيت برقم الحديث غالباً، ولم أذكر جميع مواضع الحديث في الكتاب إذا كان مصنفه ممن يقطع الأحاديث كالبخاري رحمه الله، بل اكتفيت بذكر موضع واحد.
 - ٣ - درست المسائل الفقهية، وبينت أقوال الفقهاء فيها، ورجحت عند الاختلاف بينهم، متوخية في ذلك الاختصار.
- فما وفقت فيه فمن فضل الله، وأسأله تعالى القبول، والحمد لله رب العالمين.

المدخل: معنى الاعتكاف

أولاً: معنى الاعتكاف:

• الاعتكاف في اللغة: من "عكف على الشيء" أي أقبل عليه مواظباً لا يصرف عنه وجهه، فهو بمعنى الحبس والملازمة^(١).

• الاعتكاف في الاصطلاح: تفاوتت تعريفات الفقهاء نوعاً ما في تعريف الاعتكاف على النحو التالي:

- ١- عند الحنفية: هو لبث ذكر في مسجد جماعة أو امرأة في مسجد بيتها بنية^(٢).
 - ٢- عند المالكية: هو لزوم المسلم المميز المسجد للذكر والصلاة وقراءة القرآن، سائماً، كافاً عن الجماع ومقدماته، يوماً فما فوقه بنية^(٣).
 - ٣- عند الشافعية: هو اللبث في المسجد من شخص مخصوص بنية مخصوصة^(٤).
 - ٤- عند الحنابلة: هو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى^(٥).
- وعند المقارنة بين التعاريف السابقة نجد أن الاختلاف بينها ناشئ عن الاختلاف بين المذاهب الفقهية في بعض أحكام الاعتكاف، ولذا فإن أكثرها صحة وشمولاً مع الاختصار في عبارته هو تعريف الشافعية، وهو التعريف الذي اعتمده أكثر شراح الحديث^(٦).

(١) انظر: ابن منظور، «لسان العرب» 9/255، والرازي «مختار الصحاح» 1/188.

(٢) محمد عميم الإحسان البركتي «قواعد الفقه» 1/184، والرازي «الدر المختار» 2/440-441.

(٣) الآبي «الثمر الداني شرح رسالة القيرواني» 1/314.

(٤) النووي «المجموع» 6/468.

(٥) ابن قدامه «الكافي في فقه ابن حنبل» 1/367.

(٦) انظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن حجر «فتح الباري» 4/271، العظيم آبادي «عون المعبود» 6/96، النووي «شرح صحيح مسلم» 8/66، الزرقاني «شرح الزرقاني» 2/273، الصنعاني «سبل السلام» 2/173، الشوكاني «نيل الأوطار» 4/355، أبو العلاء المباركفوري «تحفة الأحوذى» 3/420.

ثانياً: الألفاظ المقاربة:

في السنة النبوية لفظان قريبان من الاعتكاف من حيث المعنى، وهما:

1- المجاورة:

جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في رمضان العشر التي وسط الشهر، فإذا كان حين يمسي من عشرين ليلة تمضي ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه.... الحديث (٧).

والمجاورة هي: الجوار، والجار: الذي يجاورك، تقول: جاوره مجاورة وجواراً، بكسر الجيم وسمها، والكسر أفصح (٨).

قال ابن الأثير: وفيه أنه كان يجاور بجاء، ويجاور في العصر الأواخر من رمضان أي يعتكف، وقد تكرر ذكرها في الحديث بمعنى الاعتكاف، وهي مفاعلة من الجوار (٩).

وقد اختلف العلماء منذ القديم في ما إذا كانت المجاورة كالاكتكاف تماماً أم أن هناك فرقاً بينهما، فعمر بن دينار ومالك بن أنس وغيرهما يرون أن الاعتكاف والجوار متماثلان ولا فرق بينهما، قال عمرو بن دينار: الجوار والاعتكاف واحد (١٠).

وقال مالك: الاعتكاف والجوار سواء، إلا من نذر مثل جوار مكة، يجاور النهار وينقلب الليل إلى منزله (١١).

وقال أبو عبد الله المغربي في مواهب الجليل: لا فرق في المعنى بين قوله: «أعتكف عصرة أيام» و«أجاور عشرة أيام» فيلزم في ذلك ما يلزم في الاعتكاف، ويمنع فيه ما يمتنع من

(٧) متفق عليه / أخرجه البخاري (1914) واللفظ له، ومسلم (1167).

(٨) انظر: ابن منظور «لسان العرب» 4/ 153، الرازي «مختار الصحاح» 1/ 49.

(٩) «النهاية في غريب الحديث الأثر» 1/ 313 - 314.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق «المصنف» (8004).

(١١) «المدونة الكبرى» 1/ 232.

الاعتكاف، واللفظ لا يراد لعينه وإنما يراد لمعناه، ولو لم يسم اعتكافاً ولا مجاورة إلا أنه نوى ملازمة المسجد للعبادة أياماً متوالية وشرع في ذلك فإنه يلزم سنة الاعتكاف^(١٢).
ومن العلماء من يفرق بينهما فيجعل الاعتكاف يطلق على البث في وسط المسجد، أما المجاورة فلا فرق بين أن تكون داخل المسجد أم في طرف من أطرافه أو عند باب من أبوابه. قال بذلك عطاء بن أبي رباح فيما يرويه عنه عبد الملك بن جريج، قال: قلت لعطاء: أرايت الجوار والاعتكاف أختلفان هما أم شيء واحد؟ قال: بل هما مختلفان، كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، فلما اعتكف في شهر رمضان خرج من بيوته إلى بطن المسجد فاعتكف فيه.

قلت له: فإن قال إنسان علي اعتكاف أيام ففي جوفه لا بد؟ قال: نعم، وأن قال علي جوار أيام فيبابه أو في جوفه أن شاء^(١٣).

ورجح العيني في «عمدة القاري» قول عمرو بن دينار^(١٤).

قلت: الذي يتضح مما سبق أن للمجاورة صورتان:

الصورة الأولى: المكث في المسجد بصفة مخصوصة ونية مخصوصة، وهي على هذه الصورة مثل الاعتكاف شكلاً ومضموناً، والراجح قول عمرو بن دينار ومن وافقه، ولا يوجد دليل يؤيد الفرق الذي ذكره عطاء رحمه الله، والله أعلم.

الصورة الثانية: السكن في مدينة مكة أو المدينة المنورة بهدف أن يكون الإنسان قريباً من الحرم للتفرغ للعبادة، فيكون في المسجد جزءاً من نهاره أو ليله، ثم يعود للنوم في بيته على النحو الذي نقلناه عن مالك فيما سبق، يقول ابن الأثير: فأما المجاورة بمكة والمدينة فيراد

(١٢) 459 / 2.

(١٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (8003).

(١٤) 141 / 14.

بها المقام مطلقاً غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي^(١٥). وهذه الصورة ليست اعتكافاً كما هو واضح.

2- التحنث:

جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد... الحديث^(١٦).

والحنثُ: هو الإثم، وفلان «يتحنث» أي يفعل ما يخرج به من الإثم والحرَج، وجاء بمعنى آخر فَتَحَنَّثَ: أي تعبد واعتزل الأصنام، مثل تَحَنَّفَ^(١٧). وقد وضع السيوطي في «الديباج على مسلم» بأن التعبد المراد في الحديث هو التفكير^(١٨).

ويتضح هنا أن التحنث يشترك مع الاعتكاف في الخلوة والتعبد، إلا أنه ليس جزءاً من تعاليم الشريعة الإسلامية، فقد فعله النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يبعث فلما بعث استبدله بعبادات أخرى أبرزها الاعتكاف.

ثالثاً: فضل الاعتكاف:

ورد في فضل الاعتكاف أحاديث عدة، منها:

(١٥) «النهاية في غريب الحديث والأثر» 1/ 314.

(١٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (3) واللفظ له، ومسلم (160).

(١٧) انظر: ابن الأثير «النهاية في غريب الحديث والأثر» 1/ 449، ابن منظور «لسان العرب» 2/

138-139، الرازي «مختار الصحاح» 1/ 66، الفيروز آبادي «القاموس المحيط» 1/ 215.

(١٨) 1/ 188.

- ١- عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخافقين»^(١٩).
- ٢- عن الحسين بن علي رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اعتكف عشرًا في رمضان كان كحجتين وعمرتين»^(٢٠).
- ٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال في المعتكف أنه «معتكف الذنوب، ويجري له من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها»^(٢١).
- قلت: الأحاديث التي وردت في فضل الاعتكاف ضعيفة الأسانيد، إلا أنه يكفي في فضل الاعتكاف ما صح من الأحاديث في فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، ومداومته عليه حتى توفاه الله عز وجل، ومداومة أزواجه عليه من بعده.

المبحث الأول

اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم

ثبت الاعتكاف عن النبي صلى الله عليه وسلم بأحاديث كثيرة وضحت هديه في الاعتكاف، وفيما يأتي بيان ذلك:

^(١٩) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (7326) واللفظ له، والبيهقي «شعب الإيمان» (3965) وفيه قصة، والخطيب في «تاريخ بغداد» 126/4، وقد ضعفه البيهقي، وقال الخطيب: غريب، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» 192/8. وقال عن إسناده الطبراني: جيد، وذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية». قلت: مداره على الحسن بن بشر وهو: صدوق يخطئ، وقد تفرد بالحديث وهو ممن لا يحتمل تفرده، فالإسناد ضعيف، والله أعلم.

^(٢٠) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (3966) واللفظ له، والطبراني في «المعجم الكبير» (2888)3، وضعفه البيهقي، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» 173/3، وقال: فيه عيبنة بن عبد الرحمن القرشي وهو متروك.

^(٢١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (3964)، وقال: فيه ضعف.

أولاً: الزمان:

١ - ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعتكف في شهر رمضان في العشر الأوائل، ثم اعتكف في العشر الأوسط، ثم في العشر الأواخر لما تبين له أن ليلة القدر فيها، وقد داوم بعد ذلك على الاعتكاف فيها حتى لحق بربه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية على سدتها حصير، قال: فأخذ الحصير بيده فنحاه في ناحية القبة، ثم أطلع رأسه فكلم الناس، فدنوا منه، فقال: «أني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت، فقيل لي: أنها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف» فاعتكف الناس معه. قال: «وأني أريتها ليلة وتر، وأني أسجد صبيحتها في طين وماء». فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح، فمطرت السماء، فوكف المسجد، فأبصر الطين والماء، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثة أنفه فيهما الطين والماء، وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر (٢٢).

٢ - كان عليه الصلاة والسلام يبدأ اعتكافه بعد صلاة الفجر من أول أيام اعتكافه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه (٢٣).

(٢٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (780)، ومسلم (1167) واللفظ له، ومعنى قوله: «روثة أنفه» أي: أرنبته وطره من مقدمه. ابن الأثير «النهاية في غريب الحديث» 2/271، القاضي عياض «مشارك الأنوار» 1/301.

(٢٣) أخرجه مسلم (1171) وهو جزء من حديث اعتكاف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ويأتي لاحقاً.

والذي يظهر أنه كان ينهي اعتكافه بعد صلاة الفجر أيضاً، يشهد لذلك قول أبي سعيد الخدري: «فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من كان اعتكف فليرجع إلى معتكفه»^(٢٤).

٣- كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف عشر ليالي في العام، واختار عليه الصلاة والسلام أن تكون في العشر الأواخر من رمضان التماساً لليلة القدر كما سبق، لكن إذا عرض له عارض يمنعه من الاعتكاف فيها فإنه يعتكف عشر ليالي من شهر شوال.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر أنه يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فاستأذنته عائشة فأذن لها، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت، فلما رأت ذلك زينب بنت جحش أمرت ببناء فبني لها. قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى انصرف إلى بنائه، فبصر بالأبنية فقال: «ما هذا؟» قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البر أردن بهذا؟ ما أنا بمعتكف» فرجع، فلما أفطر اعتكف عشراً من شوال^(٢٥).

والحديث يبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان قد عزم على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان فلما رأى ما كرهه من تنافس زينب وحفصة وعائشة رضي الله عنهن في ذلك، وخشي أن يدخل نيتهن داخلة فانصرف، ثم وفي الله عز وجل بما نواه من فعل البر، فاعتكف عشراً من شوال»^(٢٦).

ومع ذلك فقد ورد عنه أنه اعتكف عشرين يوماً، وروي ذلك عنه في حديثين:

^(٢٤) أخرجه البخاري (1935).

^(٢٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (1940) واللفظ له، ومسلم (1172).

^(٢٦) ابن عبد البر «الاستذكار» 3/ 397.

الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرًا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه (٢٧).

الثاني: عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فمما لم يعتكف، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين يوماً (٢٨).

وقد أورد ابن حجر في الفتح ثلاثة أسباب في اعتكافه عليه الصلاة والسلام عشرين يوماً في العام الذي قبض فيه، أحدها: أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين، فلذلك اعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين.

الثاني: أنه لما ترك الاعتكاف في العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه واعتكف بدله عشرًا من شوال، اعتكف في العام الذي يليه عشرين، ليتحقق قضاء العشر في رمضان. الثالث: أنه كان العام الذي قبله مسافراً كما ورد في الحديث المذكور سابقاً (٢٩). وقد قوى ابن حجر السبب الثالث، قال: وهذا إنما يتأتى في سفر وقع في شهر رمضان، وكان رمضان من سنة تسع دخل وهو في غزوة تبوك (٣٠).

(٢٧) أخرجه البخاري (4712).

(٢٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه (3663) واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه (2225)، والنسائي في «السنن الكبرى» (3389)، وابن ماجه في «السنن» (1770)، والحاكم في «المستدرک» (1602)، وأبو عبد الله المقدسي «الأحاديث المختارة» (1277) والبيهقي في «فضائل الآيات وغيرهم» (76)، وإسناد ابن حبان صحيح، وورد نحو هذا الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وممن أخرجه ابن حبان في صحيحه (3662)، (3664) وسنده صحيح، والله أعلم.

(٢٩) 285 / 4.

(٣٠) فتح الباري 9 / 46.

ثانياً: المكان:

- ١- اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده، وعلى الرغم من أن حجراته كانت ملحقة بالمسجد إلا أنه لم يعتكف فيها بل خرج منها إلى المسجد، فعن عروة ابن الزبير، أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أخبرته أنها كانت ترجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حائض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ مجاور في المسجد، يدني لها رأسه وهي في حجرهما فترجله وهي حائض^(٣١).
- ٢- لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في اعتكافه يجلس في المسجد مباشرة بل كان يأمر أن يضرب له خباء فيجلس فيه وحده معتكفاً.

ثالثاً: الكيفية:

كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا اعتكف لزم خبائه أو خيمته التي أمر ببنائها له في المسجد فيتعبد الله فيها بأنواع العبادات التي تؤدي في المساجد كالصلاة والذكر وقراءة القرآن، وكان يخلو بربه فلا يجلس مع الناس ويتحدث إليهم إلا في أسبق الحدود، ولم يدخل حجرات أزواجه إلا لحاجة، يؤيد ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف يدني إلالي رأسه فأرجله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان^(٣٢).

والمراد بحاجة الإنسان مال غني له عنه، قال الزهري: لا يخرج المعتكف إلا لحاجة لا بد منها من غائط أو بول، ولا يتبع جنازة، ولا يعود مريضاً، ولا يجيب دعوة، ولا يمس امرأة ولا يباشرها^(٣٣).

(٣١) أخرجه البخاري(292).

(٣٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (1925)، ومسلم (297) واللفظ له.

(٣٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف(8051) بإسناد صحيح.

وقد بسط العيني في عمدة القارئ أقوال العلماء في معنى الحاجة التي يخرج لها المعتكف، فقال: قال أحمد: لا يعود المريض ولا يتبع الجنازة، وقال إسحاق: أن اشترط ذلك فله أن يتبع الجنازة ويعود المريض، واختلفوا في حضور مجالس العلم، فذهب مالك إلى أن المعتكف لا يشتغل بحضور مجالس العلم ولا بغير ذلك من القرب مما لا يتعلق بالاعتكاف كما أن المصلي مشغول بالصلاة عن غيرها من القرب فكذلك المعتكف. وذهب أكثر أهل العلم إلى جواز ذلك، بل إلى استحباب الاشتغال بالعلم وحضور مجالس العلم؛ لأن ذلك من أفضل القرب، ويجوز له الاشتغال بالصنائع اللائقة بالمسجد كالخياطة والنسخ ونحوهما، والكلام المباح مع الناس، وعن مالك أنه إذا اشتغل بحرفته في المسجد يبطل اعتكافه^(٣٤).

ثم نقل مذهب الحنفية والشافعية في المسألة، فقال: وفي (البدائع) يحرم خروجه من معتكفه ليلاً أو نهاراً إلا لحاجة الإنسان، ولا يخرج لأكل ولا شرب ولا نوم ولا عيادة مريض ولا لصلاة جنازة، فأن خرج فسد اعتكافه عامداً أو ناسياً، بخلاف ما لو أخرج مكرها... وعند الشافعي خروجه من المسجد مبطل، وفي الناسي لا يبطل على الأصح^(٣٥). قلت: لتحديد ما يجوز للمعتكف من الاختلاط بالناس والخروج من المسجد فلا بد من مراعاة ثلاثة أمور:

الأول: الأحاديث التي ذكرت خروج النبي صلى الله عليه وسلم من معتكفه أو كلامه مع الناس أثناء الاعتكاف، فقد جاء في السنة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يتحدث مع نسائه، وأهن كن يزرنه في معتكفه، وأنه خرج مع إحداهن حتى أوصلها إلى بيتها، فعن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد وعنده أزواجه فرحُن، فقال: لصفية بنت حيي: «لا تعجلي حتى أنصرف معك»، وكان بيتها في

(٣٤) ١١ / ١٤٥.

(٣٥) السابق.

دار أسامة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم معها، فلقيه رجلان من الأنصار، فنظرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجازا، وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: «تعاليا، أهما صفية بنت حيي» قال: سبحان الله يا رسول الله ! قال: «أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وأني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئا»^(٣٦).

فالحديث يوضح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحدث إلى نسائه ويخرج مع بعضهن كما سبق، لكنه يوضح أيضاً أن خروجه كان لحاجة ضرورية وهي إيصال زوجته إلى بيته، فقد بينت رواية أخرى للحديث أن الوقت كان ليلاً وأن بيتها كان بعيداً وليس في حجرات المسجد كباقي زوجاته، ولهذا قام بإيصالها لبيتها وتركهن يذهبن لحجراتهن وحدهن.

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أثناء اعتكافه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة وهو في قبة له، فكشف الستور، وقال: «إلا أن كلكم يناجي ربه فلا يؤذي بعضكم بعضاً، ولا يرفعن بعضكم على بعض في القراءة» أو قال «في الصلاة»^(٣٧).

الثاني: عمل الصحابة رضوان الله عليهم، وهم ألصق الناس بالنبي عليه الصلاة والسلام وشهدوا اعتكافه وسنته فيه، ومن ذلك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن كنت لأدخل البيت للحاجة والمريض فيه فما أسأل عنه إلا وأنا مارة^(٣٨).

(٣٦) أخرجه البخاري (1933) واللفظ له، ومسلم (2175).

(٣٧) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (4216) واللفظ له، وأبو داود في "السنن" (1322)، وابن جميع الصيدواوني في، معجم الشيوخ 298/1، والنسائي في "فضائل القرآن" (117)، وغيرهم، وإسناد عبد الرزاق صحيح

(٣٨) أخرجه مسلم

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة، فقال: «أني كنت نذرت في الجاهلية أن اعتكف في المسجد الحرام، قال عبد الصمد - أحد رواة الحديث-: ومعه غلام من سبي هوازن. فقال له رسول الله:

«اذهب فاعتكف.» فذهب فاعتكف، فبينما هو يصلي إذ سمع الناس يقولون: أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي هوازن. فدعا الغلام فأعتقه^(٣٩). قلت: فيه أن الاعتكاف كان معروفاً في الجاهلية.

الثالث: استحضار الحكمة من الاعتكاف والهدف من ورائه، فالهدف التفرغ للعبادة وتصفية العقل والقلب من الشواغل، عن طريق التقليل من الاختلاط بالناس والإكثار من العبادة، ولا يعني ذلك الانقطاع الكلي عن الآخرين، بل تقليله ما أمكن.

لقد استقبل النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه، وقام مع إحداهن حتى أدخلها بيتها؛ لأن زيارتهن كانت في الليل، وإذا تأملنا وجدنا أن القيام بزواجه هي مسؤوليته المباشرة، فلا بد أن يؤدي واجباته ومسؤولياته، وحديثه مع زوجاته يعد من هذا القبيل، أما عقد مجالس العلم ونحوها فلم يرد عنه في اعتكافه مجرد الحديث مع الناس، بل كان يجلس في قبة ويرخي عليه ستورها ويعبد ربه، ولا يرفع الستور للحديث مع الناس إلا للأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر أو إبلاغهم بما نزل عليه من وحي كما ورد في الأحاديث التي سقناها سابقاً.

قال مالك بن أنس: لا يكون المعتكف معتكفاً حتى يجتنب ما يجتنب المعتكف من عيادة المريض والصلاة على الجنائز واتباعها ودخول البيت إلا لحاجة الإنسان^(٤٠).

وأرى أن الضابط في المسألة: أن ما كان معه من المسؤوليات المباشرة للمعتكف ولا يقوم بها غيره فله أن يباشرها وقت اعتكافه في أسبق الحدود، وبما لا يصرفه عن اعتكافه، فإن

(٣٩) أخرجه أحمد في «المسند» 153/2، وإسناده صحيح.

(٤٠) «المدونة الكبرى» 1/235.

منهج الإسلام في العبادات والقربات أنها لا تقوم على حساب حقوق النفس أو الآخرين، وإذا كان يوجد من يكفيه فعليه التفرغ لاعتكافه وعدم مباشرتها.

قال مالك رحمه الله: ول أرى أن يعتكف إلا من كان مكفياً حتى لا يخرج إلا الحاجة الإنسان لبول أو لغائط، فإن اعتكف وهو غير مكفي فلا أرى بذلك بأساً أن يخرج يشتري طعامه ثم يرجع، ولا يقف مع أحد ولا يحدثه. والمعتكف مشغول باعتكافه ولا يعرض لغيره مما يشتغل به نفسه من التجارات وغيرها، ولا بأس أن يأمر المعتكف بضييعته، وضیعة أهله، ومصلحته، وبيع ماله، أو شيء لا يشغله في نفسه، كل ذلك لا بأس به إذا كان خفيفاً أن يأمر بذلك من يكفيه أياه^(٤١).

يقول الشيخ العثيمين - رحمه الله -: أن أولئك الذين يعتكفون في المساجد، ثم يأتي إليهم أصحابهم، ويتحدثون بأحاديث لا فائدة منها، فهؤلاء لم يأتوا بروح الاعتكاف، لأن روح الاعتكاف أن تمكث في المسجد لطاعة الله عز وجل. وهل ينافي روح الاعتكاف أن تعتكف في المسجد لطلب العلم؟ الجواب: لاشك أن طلب العلم من طاعة الله، لكن الاعتكاف يكون في الطاعات الخاصة، كالصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، وما أشبه ذلك، ولا بأس أن تحضر درساً أو درسين في يوم أو ليلة ولو كنت معتكفاً؛ لأن هذا لا يؤثر على الاعتكاف، لكن مجالس العلم أن دامت وصار يطالع دروسه ويحضر الجلسات الكثيرة التي تشغله عن العبادة الخاصة، فهذا لاشك أن فيه نقصاً، لكن الشيء العارض أو القليل لا بأس به، ولا أقول أن هذا ينافي الاعتكاف^(٤٢).

(٤١) «المدونة الكبرى» 237/1.

(٤٢) «الشرح الممتع على زاد المستقنع» 6/ 503.

المبحث الثاني

حكمة الاعتكاف

أنزل الله تعالى الوحي من الكتاب والسنة، وما فيهما من تشريعات وأحكام، لتزكية الناس وتعليمهم، قال تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 151). وتزكية النفوس علم برع فيه علماء المسلمين، واستمدوه من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، وألفوا فيه الكتب الكثيرة.

وقد جعل علماء المسلمين تزكية النفس قائمة على ركن عظيم، وهو: الإقبال على الله تعالى، ولم تثنات النفس والأفكار والمشاعر، وجمعها على الله تعالى. وقرروا أن ما يحول بين العبد وبين الإقبال على الله أربعة أشياء:

١ - فضول الطعام والشراب.

٢ - فضول مخالطة الأنام.

٣ - فضول الكلام.

٤ - فضول المنام.

يقول ابن القيم - رحمه الله - : اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطع عنه مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعه عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يسير ذكره ووجهه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويسير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكير في تحصيل مرضيه وما يقرب منه، فيسير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده

بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم... وأما الكلام، فإنه شرع للأمة حبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الآخرة.

وأما فضول المنام، فإنه شرع لهم من قيام الليل ما هو أفضل الشهر وأحمد عاقبة، وهو الشهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن، ولا يعوق عن مصلحة العبد، ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك على هذه الأركان الأربعة، وأسعدهم بها من سلك فيها المنهاج النبوي المحمدي، ولم ينحرف انحراف الغالين، ولا قصر تقصير المفرطين^(٤٣).

قلت: إن من يتأمل عبادة الاعتكاف يجد أنها عبادة تقوم على الانقطاع عن الناس، والاشتغال بعبادة الله، قال الصنعاني في «سبل السلام»: فأما المقصود منه فهو جمع القلب على الله تعالى بالخلوة، مع خلوة المعدة، والإقبال عليه تعالى، والتنعم بذكره، والإعراض عما عداه^(٤٤).

والعبادة هنا هي عبادة خاصة وليست شاملة لكل أنواع العبادات، بل هي في مجملها خاصة بالعبادات التي تقوم على التفكير والتدبر والخشوع ومناجاة الله تعالى والتحدث إليه، كالصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، وما سواها يستحب الابتعاد عنه إلا بمقدار بسيط.

وأرى أن عبادة الاعتكاف عبادة عظيمة لم تقتصر على البعد عن فضول المخالطة وفضول الطعام كما أشار ابن القيم، بل شملت البعد عن أنواع الفضول الأربعة التي من شأن المسلم إذا ابتعد عنها أن تنقي نفسه من السموم، ثم إذا هو يستبدلها بالغذاء الروحي الطيب من صلاة وصوم وذكر، فلا يخرج من معتكفه إلا بنفس نشيطة صحيحة،

(٤٣) ابن القيم «زاد المعاد» 2/ 87 - 88 .

(٤٤) 2/ 174 .

كالإنسان الذي يتبع حمية غذائية تعتمد على تنقية الجسم من سموم الأطعمة وإعطاءه الغذاء الصحي السليم، فإنه ينتهي من حميته بجسد نشيط سليم. فالاعتكاف فيه انقطاع عن الناس إلى الله، فيعالج بهذا فضول مخالطة الأنام، وشرع فيه الصوم، فهو بهذا يعالج فضول الطعام، وشرع فيه الذكر، وقلة الكلام مع الناس، فهو بهذا يعالج فضول الكلام، كما شرعت فيه عبادات كقيام الليل، فهو بهذا يعالج فضول النوم، فهو عبادة عظيمة لمن أراد أن يناجي ربه ويخلو به، أو يتوب عن معصية تغلبت عليه، أو يجدد إيمانه وعلاقته بربه جل وعلا. فما عليه في هذه الحالة إلا أن يعتكف لمدة عشرة أيام، وهذا أن تكون في شهر رمضان، فأن في اعتكاف النبي عليه الصلاة والسلام عشرة أيام لا يزيد عليها إلا لسبب طارئ، إشارة إلى أن هذا هو الوقت الكافي، عشرة أيام للعام الواحد.

والاعتكاف ليس سهلاً كما يبدو، بل هو عبادة تناج إلى قوة نفس وإرادة، قال الإمام مالك رحمه الله: ولم يبلغني أن أبا بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا أحداً من سلف هذه الأمة، ولا ابن المسيب، ولا أحداً من التابعين، ولا ممن أدركت أقتدي به اعتكف، ولقد كان ابن عمر من المجتهدين، وأقام زمناً طويلاً، فما بلغني عنه أنه اعتكف، إلا أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ولست أرى الاعتكاف حراماً. فقليل له: فلم تراهم تركوه؟ فقال: أراه لشدة الاعتكاف عليهم؛ لأن ليله ونهاره سواء^(٤٥).

المبحث الثالث

من أحكام الاعتكاف

ورد في الاعتكاف مسائل وأحكام ينبغي للإنسان أن يوليها عنايته، لما فيها من اتباع السنة، وفهم عبادة الاعتكاف، وأدائها على الوجه الصحيح، ومن هذه الأحكام:

(٤٥) «المدونة الكبرى» 1/ 237.

أولاً: اعتكاف النساء:

١- حكم الاعتكاف للنساء: الاعتكاف سنة مؤكدة، وهو كذلك في حق النساء والرجال على حد سواء. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده^(٤٦).

قال العظيم آبادي في «عون المعبود»: فيه دليل على أن النساء كالرجال في الاعتكاف^(٤٧).

٢- موضع اعتكاف المرأة: المسجد قال بذلك المالكية^(٤٨)، والشافعية^(٤٩)، والحنابلة^(٥٠). وذهب الحنفية إلى أن اعتكاف المرأة في المسجد جائز مع الكراهة، والأفضل لها الاعتكاف في مسجد بيتها، وهو الموضع الذي تصلي فيه في بيتها، وهذا قول قديم للشافعي ضعيف عن أصحابه^(٥١).

وأدلة القائلين بأن اعتكاف المرأة في المسجد، وأن اعتكافها في بيتها لا يجوز، هي:

- حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أنه يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فاستأذنته عائشة فأذن لها، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت، فلما رأت ذلك زينب بنت جحش أمرت ببناء فبي لها، قالت:

^(٤٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (1922) واللفظ له، ومسلم (1172).

^(٤٧) 97/7.

^(٤٨) انظر: القرافي «الذخيرة» 2/535، ابن عبد البر «الاستذكار» 3/399، ابن عبد البر «التمهيد» 11/195.

^(٤٩) انظر: النووي «المجموع» 6/472، الغزالي «الوسيط» 2/567، الشريبي «مغني المحتاج» 1/451.

^(٥٠) انظر: ابن مفلح المقدسي «الفروع» 3/115، البهوتي «الروض المربع» 1/446.

^(٥١) انظر: السرخسي «المبسوط» 3/119، الكاساني «بدائع الصنائع» 2/113، أبو المحاسن «معتمد المختصر» 1/153.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى انصرف إلى بنائه، فبصر بالأبنية، فقال: «ما هذا؟» قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكر أردن بهذا؟ ما أنا بمعتكف» فرجع، فلما أفطر اعتكف عشراً من شوال (٥٢).

- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: اعتكفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من أزواجه مستحاضة، فكانت ترى الحمرة والصفرة، فرمى وضعنا الطست تحتها وهي تصلي (٥٣).

فإذا كانت المستحاضة تعتكف في المسجد ولربما سال دم الاستحاضة عليها، ومع ذلك لم يأمرها عليه الصلاة والسلام بالاعتكاف في بيتها، فدل ذلك على وجوب اعتكاف المرأة في المسجد، وأنه غير جائز في بيتها.

يقول النووي رحمه الله: وفي هذه الأحاديث أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وأصحابه إنما اعتكفوا في المسجد مع المشقة في ملازمته، فلو جاز في البيت لفعلوه ولو مرة، لاسيما النساء؛ لأن حاجتهن إليه في البيوت أكثر (٥٤).

وأما القائلون بأن الأفضل للمرأة الاعتكاف في بيتها لا في المسجد، فدليلهم على ذلك القياس، فقد قاسوا الاعتكاف على الصلاة، فلما كان الأفضل للمرأة الصلاة في بيتها، فكذلك الاعتكاف الأفضل لها أن تعتكف في بيتها (٥٥).

قال ابن رشد في «بداية المجتهد»: وأما سبب اختلافهم في اعتكاف المرأة فمعارضة القياس أيضاً للأثر، وذلك أنه ثبت أن حفصة وعائشة وزينب أزواج النبي صلى الله عليه

(٥٢) متفق عليه، سبق تخريجه.

(٥٣) أخرجه البخاري (1932).

(٥٤) شرح صحيح مسلم، 8/ 68. وانظر أيضاً: العظيم آبادي «عون المعبود» 7/ 100.

(٥٥) انظر لمزيد من التفصيل: الجصاص «أحكام القرآن» 1/ 303.

وسلم استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف في المسجد فأذن لمن حين ضربن أخبيتهن فيه، فكان هذا الأثر دليلاً على جواز اعتكاف المرأة في المسجد. وأما القياس المعارض لهذا فهو قياس الاعتكاف على الصلاة، وذلك أنه لما كانت صلاة المرأة في بيتها أفضل منها في المسجد على ما جاء في الخبر، وجب أن يكون الاعتكاف في بيتها أفضل^(٥٦).

قلت: والأصح القول الأول لما ثبت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه رضي الله عنهن؛ ولأن القياس لا يصح عند وجود الأثر، فلا قياس مع النص، فكيف يقاس الاعتكاف على الصلاة وقد ورد من السنة ما يثبت أن لكل منهما أحكام تختص به؟

٣- استئذان الزوج: إذا أرادت المرأة الاعتكاف فلا بد لها من الاستئذان من زوجها، فلا يجوز لها الاعتكاف بغير إذنه، لما ورد من عمل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن^(٥٧).

٤- اعتكاف المرأة مع زوجها: ذهب القائلون إلى كراهية اعتكاف المرأة في المسجد إلى أنه إنما يجوز للمرأة الاعتكاف في المسجد إذا كانت مع زوجها. قال الطحاوي في «مختصر اختلاف العلماء»: «أنما جاز لمن لأنهن كن مع أزواجهن، وللمرأة أن تعتكف في المسجد مع زوجها كما تسافر معه^(٥٨).

وقد وضع ابن رشد أن هذا القول إنما هو محاولة من الحنفية للجمع بين الأحاديث النبوية، وبين القياس الذي عمدوا إليه، فقال: قالوا: وإنما يجوز للمرأة أن تعتكف في المسجد مع

(٥٦) 1/ 229.

(٥٧) انظر: البهوتي «الروض المربع» 1/ 446، النووي «المجموع» 6/ 470، السيواسي «شرح فتح القدير» 2/ 394.

(٥٨) 2/ 49.

زوجها فقط على نحو ما جاء في الأثر من اعتكاف أزواجه عليه الصلاة والسلام معه، كما تسافر معه ولا تسافر مفردة، وكأنه نحو من الجمع بين القياس والأثر^(٥٩). قلت: وهذا القول غير صحيح، ويرده حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده^(٦٠).

٥- اعتكاف المستحاضة: جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف معه بعض نسائه وهي مستحاضة ترى الدم، فرمما وضعت الطست تحتها من الدم^(٦١).

قال العيني: وما يستنبط منه: جواز اعتكاف المستحاضة، وجواز صلاتها؛ لأن حالها حال الطاهرات، وأنها تضع الطست لئلا يصيب ثوبها أو المسجد^(٦٢). وقال الشوكاني: والحديث يدل على جواز مكث المستحاضة في المسجد، وضحة اعتكافها وصلاتها، وجواز حدثها في المسجد عند أمن التلويث^(٦٣).

ثانياً: استتار المعتكف عن الناس:

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا أراد أن يعتكف أمر بإقامة خباء له في المسجد، وعندما أرادت زوجاته رضي الله عنهن الاعتكاف بنيت لهن الخيام أيضاً في المسجد، فدل هذا على مشروعية استتار المعتكف عن الناس، لتتم له الخلوة بربه، وينقطع عن كل ما يشغله عنها.

^(٥٩) «بداية المجتهد» 1/ 229.

^(٦٠) متفق عليه، سبق تخريجه.

^(٦١) أخرجه البخاري (303).

^(٦٢) «عمدة القاري» 3/ 280.

^(٦٣) «نيل الأوطار» 4/ 361.

وقد وردت تسميته بالخباء في حديث عائشة رضي الله عنها ^(٦٤)، والخباء بكسر الخاء هو: الخيمة المصنوعة من وبر أو صوف، ثم أطلقت على البيت كيفما كان ^(٦٥). وجاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «قبة تركية على سدتها حصير» ^(٦٦)، والقبة هي: الخيمة الصغيرة المصنوعة من اللبود ^(٦٧)، وجاء في حديث آخر لعائشة رضي الله عنها تسميته بالبناء ^(٦٨)، والبناء هو الخيمة ^(٦٩).

وهذه الألفاظ تدل على أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد أن يعتكف أمر بأن تنصب له خيمة صغيرة في المسجد يعتزل فيها ويعبد الله في خلوة، وهذا أحد السنن التي قلَّ علم الناس وعملهم بها، وربما استنكر الناس من يفعلها، فعن شداد بن الأزمع قال: اعتكف رجل في المسجد في خيمة له فحسبه الناس، قال: فأرسلني الرجل إلى عبد الله بن مسعود، فجاء عبد الله فطرد الناس وحسَّن ذلك ^(٧٠).

ثالثاً: الصوم مع الاعتكاف:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في رمضان، فمن المسلم به أنه كان يصوم في اعتكافه، ولم تنقل لنا الروايات أنه صام عندما اعتكف في شوال، فلم تثبت ولم تنفِ اقتران الاعتكاف بالصوم.

^(٦٤) أخرجه البخاري (1928)

^(٦٥) انظر: ابن حجر «فتح الباري» 7/141.

^(٦٦) أخرجه مسلم (1167) وقد سبق ذكره.

^(٦٧) انظر: النووي «شرح صحيح مسلم» 8/62، و«هدي الساري»، ص 169، واللبود جمع لُبد ولُبدة، يقال: تلبد الشعر والصوف والوبر أي تداخل ولزق بعضه ببعض. انظر: ابن منظور «لسان العرب» 3/386.

^(٦٨) أخرجه البخاري (1940)

^(٦٩) العيني «عمدة القاري» 11/158.

^(٧٠) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (8015) واللفظ له، وابن أبي شيبة في «المصنف» ((9671)، والطبراني في «المعجم الكبير» 9(9512)، وإسناده صحيح.

وقد ذكرنا فيما مضى قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نذر في الجاهلية أن يعتكف في المسجد الحرام، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتكف، ولم يأمره بالصوم^(٧١)، وقد جاء في رواية أخرى أنه عليه الصلاة والسلام قال له: «اعتكف وسم»^(٧٢)، ولكن لا تصح هذه الرواية.

وقد ذهب عدد من الصحابة إلى أن الصيام واجب على المعتكف، فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه، عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهما، أنهما قال: لا جوار إلا بصيام وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: من اعتكف فعليه الصوم^(٧٣).

جاء في حاشية ابن القيم: اختلف أهل العلم في اشتراط الصوم في الاعتكاف، فأوجبه أكثر أهل العلم، منهم عائشة أم المؤمنين، وابن عباس، وابن عمر، وقول مالك، وأبي حنيفة، وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وذهب الشافعي، وأحمد في الرواية المشهورة عنه أن الصوم فيه مستحب غير واجب. قال ابن المنذر: وهو مروى عن علي، وابن مسعود رضي الله عنهما^(٧٤).

(٧١) سبق تخريجه.

(٧٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (2474)، والحاكم في «المستدرک» (1604)، والدارقطني في «السنن» (9)، وقال: سمعت أبا بكر النيسابوري يقول: هذا حديث منكر، لأن الثقات من أصحاب عمرو بن دينار لم يذكروه، منهم ابن جريج، وابن عيينة، وحمام بن سلمة، وحمام بن زيد وغيرهم، وابن بدیل ضعيف. قلت: مدار هذه الرواية على عبد الله بن بدیل وهو صدوق يخطئ، وقد تفرد بهذه الزيادة وهو ممن لا يَحتمل تفرد، فالرواية منكورة، والله أعلم. وانظر: ابن حجر «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» 1/ 287.

(٧٣) (8033) وإسناده صحيح.

(٧٤) (8037) وإسناده صحيح.

(٧٥) 1/ 105.

ثم ساق - رحمه الله - أدلة الفريقين وناقشهما^(٧٦)، وانتصر للقول الأول وهو وجوب الصيام في الاعتكاف، وقال في «زاد المعاد»: فالقول الراجح الذي عليه جمهور السلف أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية^(٧٧).

قلت: الاعتكاف عبادة مستقلة بذاتها ويستحب فيها الاشتغال بعبادات مخصوصة منها الصوم، ولكن لم أجد فيما صح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وجوب الصوم مع الاعتكاف، وأن كان لا خلاف في استحبابه، بل الدليل الوارد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشير إلى خلافه، والله أعلم.

رابعاً: مدة الاعتكاف:

ليس لأكثر الاعتكاف زمن محدد عند العلماء، ولكنهم اختلفوا في أقله، فعند الحنفية^(٧٨)، والشافعية^(٧٩)، والحنابلة^(٨٠)، لا حد لأقل الاعتكاف، ويجوز للمعتكف أن يعتكف ولو ساعة. وخالفهم مالك في ذلك، فروى بعض أصحابه عنه أن أقل الاعتكاف يوم وليلة، وروى غيره أن أقله ثلاثة أيام، وقال ابن القاسم في المدونة: وقفت مالكا على ذلك فأنكره، وقال: أقله عشرة أيام^(٨١).

(٧٦) انظر: ابن القيم «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود» 7/ 105 - 109.

(٧٧) 2/ 88.

(٧٨) انظر: ابن نجيم «البحر الرائق» 2/ 323، الشيباني «المبسوط» 2/ 279، المرغاني «الهداية شرح البداية» 1/ 132.

(٧٩) انظر: النووي «المجموع» 6/ 479، القفال «حلية العلماء» الحسيني «كفاية الأختار» 1/ 208.

(٨٠) انظر: ابن قدامة «المغني» 2/ 258، المداوي «الإنصاف» 3/ 359، ابن قدامة «الكافي في فقه ابن حنبل» 1/ 368.

(٨١) انظر: ابن عبد البر «الاستذكار» 3/ 402. وانظر أيضاً: القرافي «الذخيرة» 2/ 542، الآبي «التمر الداني» 1/ 316، أبو البركات «الشرح الكبير» 1/ 550.

قال ابن رشد: والسبب في اختلافهم معارضة القياس للأثر، أما القياس: فأن من اعتقد أن من شرطه الصوم قال: لا يجوز اعتكاف ليلة، وإذا لم يجز اعتكافه ليلة، فلا أقل من يوم وليلة، إذ انعقاد صوم النهار أنما يكون بالليل. وأما الأثر المعارض: فما أخرجه البخاري من أن عمر رضي الله عنه نذر أن يعتكف ليلة، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفني بندره، ولا معنى للنظر مع الثابت من هذا الأثر^(٨٢).

والأثر الذي أشار إليه هو ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أوف نذرك» فاعتكف ليلة^(٨٣).

خامساً: الاشتراط في الاعتكاف:

الاشتراط في الاعتكاف هو أن يشترط المعتكف قبل اعتكافه أن يفعل أثناء اعتكافه بعض الأمور المباحة، مثل عيادة المريض، وسهود الجنابة، وأن يتعشى في أهله كل ليلة، ونحو ذلك.

وقد اختلف العلماء في حكم الاشتراط، فأباحه أحمد، وعن الشافعي أن للمعتكف الخروج للقرب إذا اشترطه. وذهب مالك إلى أنه لا يجوز الاشتراط^(٨٤).

واستدل المجيزون للاشتراط في الاعتكاف بحديثين، هما:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المعتكف يتبع الجنابة، ويعود المريض»^(٨٥).

^(٨٢) «بداية المجتهد» 1/ 229-230.

^(٨٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (1937) واللفظ له، ومسلم (1656).

^(٨٤) انظر: ابن مفلح «الفروع» 3/ 137، ابن قدامة «عمدة الفقه» 1/ 37، ابن قدامة «المغني» 3/ 71، ابن حزم «المحلى» 5/ 187، الزرقاني «شرح الزرقاني» 2/ 277، المناوي «فيض القدير» 6/ 274، ابن عبدالمهادي «تنقيح تحقيق أحاديث التعليق» 2/ 377، ابن الجوزي «التحقيق في أحاديث الخلاف» 2/ 112.

٢- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعود المريض وهو معتكف^(٨٦).

والحديثان ضعيفان، كما أنهما يتعارضان مع الأحاديث الصحيحة التي بينت أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما جاء فيهما.

واستدل المانعون للاشتراط بأنه لم يرد في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال الزرقاني: وقد اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرف المسلمون سنة الاعتكاف عنه، فلم ينقل أحد الشرط في الاعتكاف^(٨٧).

وبين ابن رشد رحمه الله سبب الاختلاف بين العلماء في هذه المسألة، فقال: والسبب في اختلافهم تشبيههم الاعتكاف بالحج في أن كليهما عبادة مانعة لكثير من المباحات، والاشتراط في الحج إنما صار إليه من رآه لحديث ضباعة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: "أهلي بالحج، واشترطي أن محلي حيث حبستي" لكن هذا الأصل مختلف فيه في الحج، فالقياس فيه ضعيف^(٨٨).

^(٨٥) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (1777) واللفظ له، وابن الجوزي في «التحقيق في أحاديث الخلاف» (11091)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» 2/ 84: هذا إسناد فيه عبد الخالق، وعنبسة، والهياج، وهم ضعفاء، وقد روى الأئمة الستة ما يخالفه من حديث عائشة مرفوعاً: «كان لا يدخل البيت إلا لحاجة».

^(٨٦) أخرجه أبو داود في «السنن» (2472) واللفظ له، والبيهقي في «السنن الكبرى» (8378)، واختلف رواته اختلافاً بيناً، فقال النفيلي: قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو، ولا يعرج يسأل عنه». وقال ابن عيسى: قالت: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود المريض، وهو معتكف. وبالإضافة إلى اختلاف رواته فأن في إسناده ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

^(٨٧) «بداية المجتهد» 1 / 232.

^(٨٨) «شرح الزرقاني» 2 / 277.

والصواب قول من نفى الاشتراط في الاعتكاف لموافقته ما جاء من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

الخاتمة

أن السنة النبوية زاخرة بما ينفع المسلمين، وهذا البحث ما هو إلا مساهمة في استخراج الكنوز النبوية، وعرضها على الناس ليعملوا بها، ويستمدوا منها الهداية والسعادة والبركة.

• أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

- ١ - أهمية عبادة الاعتكاف للإنسان المسلم في واقعنا المعاصر، فهي تساعد على الإقبال على الله، ومناجاته، وتحديد إيمانه، وهو الأمر الذي يحول بين المسلم وبين إيقاع العصر الذي نعيش فيه، وما تميز به من شرعة وانشغال بالماديات والمظاهر.
- ٢ - النساء مثل الرجال في عبادة الاعتكاف، مما يؤكد على المساواة بينهما في الدين الإسلامي من حيث الإنسانية، والكرامة، ومراعاة احتياجاتهما.
- ٣ - سنة استتار المعتكف عن الناس بخيمة ونحوها، سنة تكاد تكون مهجورة، وقل علم الناس بها، وتطبيقهم لها.
- ٤ - الاشتراط في الاعتكاف ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

• أبرز التوصيات:

- ١ - أن يهتم الباحثون المتخصصون في السنة النبوية بإبرازها، وتقريبها للناس، وتذكيرهم بما نسوه منها، وتعليمهم ما جهلوه.
- ٢ - الحرص على تطبيق عبادة الاعتكاف، وحث الناس على ذلك، لما لها من أثر في تذكير الله والآخرة، وبث السكينة والطمأنينة في نفس المعتكف.

والله الموفق.